مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (36) العدد (3)2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (3) 2014

طرق القصر وتجلياته في التَّركيب اللغويّ

الدكتورة ابتسام حمدان*
إبراهيم سبيعي**

(تاريخ الإيداع 6 / 3 / 2014. قبل للنشر في 19 / 5 / 2014)

□ ملخّص □

يتناول هذا البحث دراسة لطرق أسلوب القصر المتعدِّدة ، هذه الطرق كما صنَّفها علماء النحو والبلاغة، تنقسم إلى أربعة أقسام هي: القصر بالنَّفيّ والاستثناء، والقصر بـ (إنَّما) ، والقصر باستخدام حروف العطف: (بل – لا – لكن) ، والقصر بتقديم ما حقُّه التأخير ، وهذا النَّوع هو جانب من ثلاثة جوانب تتدرج تحت إطار ما يُسمَّى (القصر بالدَّلالات والقرائن في الكلام) ، إذ لم يحظَ الجانبان الآخران بالاهتِّمام الكافي ، وهما (القصر بإضافة ضمير الفصل) و (والقصر بتعريف طرفي الإسناد) . لذا فإنَّ أسلوب القصر أشمل من ذلك وأكثر اتِّساعاً ، فهو ينفذ إلى طرقٍ أخرى لا تقلُّ أهميَّة عن الطُّرق الأربع السَّابقة ، من مثل ما يلي :

1–أنْ تدلَّ العبارة اللغويَّة على معنى القصر وهذه التراكيب لا حصر لها ، فقد يقدِّم (الحال) معنى القصر والاختصاص .

2– أو أنْ يكون القصر حاصلاً بدليلٍ خارج عن النَّص بحيث لا يُفهم المراد ، ولا يتأتَّى معنى القصر إلَّا بتوفُّر قصّة ما ، أو رواية ، تتعلَّق بالتَّركيب المراد به تقديم معنى القصر .

3– أنْ يكون القصر بإضافة ضمير الفصل ، ولكن بتوفر شروط معيَّنة في الاسم الواقع قبل ضمير الفصل ، وشروط خاصَّة بالاسم الواقع بعده ، كما يوجد شروط تتعلَّق بضمير الفصل ذاته .

4– تعريف طرفي القصر .

الكلمات المفتاحيَّة : القصر – طرق – النّفي – الاستثناء – العطف – قرينة .

* **أستاذة – قسم اللغة العربيَّة – كلية الآداب والعلوم الإنسانيَّة – جامعة تشرين – اللاذقيَّة – سورية .**
** **طالب دراسات عليا (دكتوراه) – قسم اللغة العربيَّة – كلية الآداب والعلوم الإنسانيَّة – جامعة تشرين – اللاذقيَّة – سورية .**

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (36) العدد (3)2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (3) 2014

The summation methods and its impacts on linguistic composition.

Dr. Ebtesam Hamdan*
Ebrahim Subaai**

(Received 6 / 3 / 2014. Accepted 19 / 5 / 2014)

□ ABSTRACT □

This research deals with the study of the various and multiple of limitation mode . these methods as rhetoricians and syntax scholar have categorized are in four groups : negation and exception , limitation of (Innama) , limitation of conjunctions (mot , but , not only but) and limitation by proffering what's must be delayed . but limitation methods is wider and more comprehensive , and it goes into other ways which are not less important than the four pervious ones as the following :

1- When the linguistic phrase refers to limitation meaning but this can't be counted , may introduce (adverb) the meaning of limitation and competence .

2- Limitation could be available out of the text itself , thus it can't be interpreted unless it is put into a story or a novel that that are related to the purpose .

3- By adding subjective pronouns by some particular conditions related to the name that precedes the subject pronouns , and other conditions of the following noun , and some other conditions of the pronoun itself .

4- The definition of the tow parts of the limitation .

Key words : Limitation , ways , negation , exception , conjunction , context .

* **Professor; Department Of Arabic Language, faculty Of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

** **Postgraduate Student, Department of Arabic , Faculty Of Art & Humanities , Tishreen University , Lattakia , Syria .**

مُقدِّمة :

يعدُّ أسلوب القصر من هذه الأساليب التي يتحقَّق فيها جوهر البلاغة ، وتظهر من خلاله قدرة التَّركيب على إيصال المعنى وتوكيده، والدَّرس النَّحويّ قدَّم لنا طرقاً للدَّلالة على المعنى ، ولم يفِ أسلوب القصر حقَّه عندما لم يتتبَّع هذا المعنى في طرق لغويَّة أخرى ، ممَّا دفعنا إلى دراسة هذا الأسلوب وتتبُّع معانيه البلاغيَّة والدَّلاليَّة ، ومعرفة طرقه المُتنوِّعة والمُتعدِّدة، والتي صنفها علماؤنا في أربعة أقسام ، هي القصر بالنَّفيّ والاستثناء ، والقصر بـ (إنَّما) ، والقصر باستخدام حروف العطف: (بل – لا – لكن) ، والقصر بتقديم ما حقُّه التأخير ، إضافة إلى عدد من الطُّرق التي لم تحظَ بالاهتِّمام الكافي ، فقد حصر الدَّارسون اهتمامهم بأربعة منها ، لأنَّها تعتمد على أشكال تركيبيَّة محدَّدة ، إلَّا أنَّ معنى القصر كثيراً ما يبرز بطرق أخرى لم تلقَ الاهتمام المطلوب ، لذا فإنَّنا في هذا البحث سنحاول الوقوف على صور التَّعبير التي تحمل معنى القصر والتي لم يولِها النحويون والبلاغيون العناية التي يستحقها هذا الأسلوب .

ولأننا نقدر الجهود المبذولة في مجال دراسة أسلوب القصر ، وأثره في المعنى فإنَّنا لن نقلل من أهمية أيَّ دراسة منها ، وإنَّما سنحاول جاهدين أن نجمع بين أطرافها وخيوطها التي تمتُّ بصلة أو إشارة لهذا الأسلوب ؛ وخصوصاً تلك التي تقرن النحو بالبلاغة وتدرسهما في نطاق الجمع والتكامل .

أهميَّة البحث وأهدافه :

يقوم هذا البحث بإلقاء الضوء على طرق القصر ، ولا سيَّما الَّتي لم تحظَ بالاهتِّمام المطلوب ، فقد اقتصرت دراسة القصر على أربعة طرق فقط ، وانحصر اهتمامهم بها ، وظلَّ مرهوناً بها ، في حين أنَّه لا ينحصر بهذه الطرق؛ بل يتعداها إلى عدد من الطُّرق والأساليب التي لا تقلُّ أهميَّة عن غيرها ، كما أنَّ أسلوب القصر بوصفه أسلوباً نحويَّاً بلاغيَّاً، يتفاعل مع الأساليب النحويَّة والبلاغيَّة ، ويشترك معها في تأديَّة المعنى ، ويحقِّق فيما يحقِّق معنى التَّوكيد، لذا أصبح من الواجب التَّعرُّف إلى هذا الأسلوب وطرقه ، والتَّعمُّق بها لتنال مكانتها بين طرق القصر وأساليبه .

منهجيَّة البحث :

يقوم هذا البحث على وصف طرق القصر ، وتقديم أمثلة تحليليَّة من القرآن الكريم ، وبعض الشَّواهد الشِّعريَّة ، لذلك اعتمدنا المنهج اللغويّ التَّحليليّ ، الذي يعتمد الجمع بين الدِّراسة النظرية بما تتضمنه من جوانب تاريخية وتقابلية بين القديم و الحديث ، والدِّراسة التطبيقيَّة التي تقوم على التحليل الأسلوبيّ و الجماليّ .

عرَّف علماء البلاغة القَصْر بأنَّه ((تخصيص أمرٍ بطريق مخصوص ، ويُقال أيضاً : إثبات الحكم للمذكور ، ونفيه عمَّا عداه)) 1 ، أو بأنَّه ((من الأساليب الغنية بالاعتبارات الدقيقة ، والملاحظات العديدة ، فهو فنٌ دقيق المجرى ، لطيف المغزى ، جليل المقدار ، كثير الفوائد ، غزير الأسرار ، يستعمله الأديب ليأتي أسلوبه مُصوِّراً قويَّاً يوحي إلى القارئ بمعانٍ شتَّى)) [2] .

1- الإتّقان في علوم القرآن ، السِّيوطي ، ج4 ، ص 1565 .

2- د.عرفة ، عبد العزيز عبد المُعطي ، من بلاغة النَّظم العربي ، دراسة تحليليَّة لمسائل علم المعاني ، عالم الكتب ، الطَّبعة الثَّانيَّة 1405 هـ 1984 م ، ج2 ، ص 8 . ويُنظَر د.فيود ، بسيوني عبد الفتاح ، علم المعاني – دراسة بلاغيَّة ونقديَّة لمسائل المعاني ، جامعة الأزهر مكتبة وهبة – القاهرة ، ج2 ، ص 5 .

يركِّز علماء البلاغة على أربع طرق لأسلوب القصر، لأنَّها الطرق الأكثر شيوعاً ، واستخداماً في تراكيب اللغة عموماً ، وفي القرآن الكريم خاصَّة ، وهي القصر بـ (النفي والاستثناء) ، والقصر باستخدام (إنَّما و أنَّما) ، والقصر باستخدام بعض حروف العطف وهي (بل – لا – لكنْ) ، والقصر (بتقديم ماحقُّه التأخير) ، إلَّا أنَّ أسلوب القصر أشمل وأكثر اتِّساعاً من ذلك ، فهو ينفذ إلى طرقٍ أخرى لا تقلُّ أهميَّة عن الطُّرق الأربع السَّابقة ، من مثل أنْ تدلَّ العبارة اللغويَّة على معنى القصر ، أو أنْ يكون القصر حاصلاً بدليلٍ خارج عن النَّص ، أو أنْ يكون القصر بإضافة ضمير الفصل ، أو بتعريف طرفي القصر .

الطريقة الأوّلى : القصر باستخدام بعض الأدوات النَّحويّة :

أشرنا فيما سبق إلى أنَّ للقصر طرقاً كثيرة ومتعددة ، إلَّا أنَّ البلاغيين قصروا نظرهم على أربع طرقٍ فقط ، ولم يولوا تلك الأهميَّة البالغة إلى القصر الحاصل بالسِّياق أو بالتوكيد ، أو بضمير الفصل ، أو باستخدام ألفاظ معينة ، لعلَّ ذلك يعود إلى إحساسهم بعدم إفادة هذه الطُّرق للمعاني البلاغيّة ، أو لعلَّهم أدركوا ببصيرتهم النَّافذة قلَّة استخدام هذه الطُّرق غير المشهورة في القرآن الكريم ، إذ إنَّنا لا نجدُ مثلاً استخدام التركيب (لا غير) فيه ، أو لفظة (فقط) ، فهما غير مستخدمتين إطلاقاً في الآيات القرآنيّة ، بينما يذخر القرآن الكريم بالأساليب المشهورة التي تناولوها بالوصف والتَّحليل العميقين ، وهذه الأساليب هي :

1–القصر بالنَّفيّ والاستثناء :

تُسمَّى هذه الطَّريقة عند علماء النَّحو عامَّة بالاستثناء المنفي ، سواء أكان تامَّاً ، أم ناقصاً ، وأشار بعض علماء النَّحو إلى تسميَّة أخرى عندما زاوجوا بين القصر والتوكيد ، فأطلقوا على هذا النَّوع تسميَّة (التَّوكيد بالنفي ، ونقض النَّفي بإلَّا) [3] ، ولا ضيرَ في ذلك لأنَّ القصر من أهمِ عوامل التَّوكيد ، وجزء لا يتجزأ منه ، إذ يقول السَّكاكيّ عن علاقة النَّفي بالاستثناء : ((لأنَّ قصر الصِّفة على الموصوف ، وبالعكس ليس إلَّا تأكيداً للحكم على تأكيد)) [4] ، ويعدُّ (النَّفي والاستثناء) ، الأوفر حظَّاً في كتب الدَّارسين المتقدمين ، وغالباً ما نجده يتربع في مقدمة الطُّرق والأساليب التّي صنَّفها الباحثون ، فهم يرون فيه قصراً وتوكيداً ومعنىً بلاغيّاً ، لذلك نجد بعضهم يفصِّل في هذا النَّوع تفصيلاً دقيقاً ، فهم يذكرون مثلاً أنَّ (النَّفي) ليس واحداً في كلِّ السِّياقات ، لأنَّ أدوات النَّفي كثيرة ومتعدِّدة ، ولكلٍّ منها عمل ومعنىً ، وبالتَّالي فإنَّ النَّفي كثير الدَّلالات ، ولكلِّ أداة جرسُها الموسيقيّ والنَّفسيّ الخاصّ بها ، واستخدامها يجب أنْ يتوافق ويتلاءم مع التَّركيب ، ولا يجوز أنْ تحلَّ أداة ما محلَّ أخرى ، وإنْ كانتْ الأداتان متشابهتين في الدَّلالة [5] ، ((فهناك (إنْ) النافية : بجرسها الخاطف ، ومقطعها المغلق ، تختلف عن (ما) بفتحتها الطَّويلة ، وإذا كانت (ما) : تفيد التوكيد لأنَّها تُجاب بقد ..... فإنَّ (إنَّ) أكثر توكيداً لشبهها بأنْ المخفَّفة من الثَّقيلة)) [6] .

3– يُنظر د.جطل ، مصطفى ، نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين الثَّاني والثَّالث الهجري ، مديريّة الكتب والمطبوعات الجامعيَّة ، جامعة حلب ، كليَّة الآداب ، 1979–1980 م ، ج2 ، ص 267 .

4– السَّكاكي ، أبو يعقوب يُوسف بن مُحمَّد بن عليّ ، مفتاح العلوم ، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطَّبعة الأولى 1420 هـ 2000 م ، ص 403 .

5– يُنظر د.درَّاز ، صبَّاح عبيد ، أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغيَّة ، مطبعة الأمانة ، مصر ، الطَّبعة الأولى ، 1406 هـ ، 1986 م ، ص 147 .

6– المرجع السَّابق ، ص 147 .

إنَّ الأصل في القصر باستخدام (النَّفي والاستثناء) ، أنْ يلي المقصور عليه فيه أداة الاستثناء مثل قولنا : (لا هادي إلَّا الله) [7] ، كما أنَّ هذه الطَّريقة تستعمل في الأمور المجهولة التي فيها مجالٌ للشَّك والإنكار [8] ، إلّا أنَّ بعض الباحثين يجيزون تأخير المقصور عليه ، على النَّفي والاستثناء ، نحو قولنا : (أريد هذا الشيء ليس إلَّا) ، (ونحبُ هذه الطَّريقة ليس غير) ، وهو أسلوب وتركيب شائعٌ في اللغة المعاصرة ، كما أنَّهم يجيزون في القصر حريَّة الرُّتبة ، ويُعدُّون تقدُّم النَّفي رُتبة غير محفوظة ، إذ إنَّه ليس من الضروري أنْ يتقدَّم حرف النَّفي على الأداة ؛ بل يجوز أنْ تسبق الأداةُ حرفَ النَّفي ، نحو قولنا : (غير الحقِّ لا نبتغي سبيلاً) ، كما ينبِّهون إلى أمر ذي أهميَّة نحويَّة ومعنويَّة وتركيبيَّة ، يتعلَّق باستخدام أدوات النَّفي ، إذ لا يجوز استخدام (لما) ، ويصرَّح باستعمال غيرها ، لاستحالة إفادتها للمعنى الصَّحيح ، فهي تنفي الحدَّث حتى لحظة التَّكلُّم ، بينما المعنى الحاصل بالقصر يثبت جزءاً من الماضي كان منفياً ، وهذا لا يتناسب مع دلالتها [9] . ولكنَّ التَّركيب بأسلوب (النَّفي والاستثناء) غالباً ما يكون بتقدُّم النَّفي على أداة الاستثناء ، وقد ورد كثيراً في القرآن الكريم برتبة محفوظة ، نحو قوله تعالى : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ** ﴾ آل عمران 144.

وانطلاقاً من اجتماع (النَّفي مع الاستثناء) في التَّركيب ، عُدَّ هذا تركيباً مفيداً لمعنى القصر والاختصاص ، والسَّبب يعود في ذلك إلى كون معنى النَّفي هو عدم الوجود الذي يثير في النَّفس تساؤلاً حول ماهيّة النَّفي ، فعندما نقول : (ما عليٌّ) ، فإنَّنا نثبتُ عدم الوجود لهذه الذَّات ، وفي وسط جوِّ التَّساؤل والتَّأهُّب ، تأتي أداة الاستثناء لتُخرِجَ إحدى الصِّفات التي حكمنا عليها بالنَّفي، وإخراجها من دائرة الإثبات ، فنقول : (إلّا شاعراً) 10 .

والجدير بالذِّكر أنَّ الإمام عبد القاهر الجرجانيّ ، لم يسوِّغ أنْ تجتمع طريقة (النَّفي مع الاستثناء) مع طريقة (العطف) بـ (لا) ، فلا يجوز أنْ تقولَ : (ما جاء إلَّا زيدٌ لا عمرو) ، لأنَّنا بقولنا : (ما زيدٌ إلَّا قائم) ، نفينا عنه كلَّ صفة تنافي القيام ، فلا حاجة للنَّفي بـ (لا) العاطفة أمراً قد بدأنا بنفيه أصلاً [11] .

ومما يستوجبُ الذِّكر أيضاً أنَّ بعض علماء البلاغة عدوا أسلوب (النَّهي والاستثناء) موازياً ومماثلاً لأسلوب (النَّفي والاستثناء) في تحقيقه لمعنى القصر ، نحو قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾ آل عمران 153 ، فالقصر واقع هنا باستخدام (الاستفهام والاستثناء) ، إلَّا أنَّ الاستفهام هنا خارج عن معناه الحقيقي إلى معنى (النَّفي) ، أي إنَّ معنى الآية الكريمة هو : (وَمَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ** ﴾ الرَّحمن 60 [12] .

ومما لا يمكن إغفاله إشارة بعض العلماء إلى إمكانيّة عدم حصول القصر بأسلوب (النَّفي والاستثناء) ، استناداً إلى القرينة الحاليَّة ، نحو قوله تعالى : ﴿ **قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ** ﴾ الرَّحمن 60 ، فليس المقصود

7- يُنظر د.العاكوب ، عيسى علي ، أ. الشَّتيوي ، علي سعد ، الكافي في علوم البلاغة العربيَّة – المعاني – البيان – البديع ، منشورات الجامعة المفتوحة ، الإسكندريَّة ، 1993 م ، ص 234 .

8- يُنظر د.حسين ، عبد القادر ، فنُّ البلاغة ، عالم الكتب ، الطَّبعة الثَّانيَة 1405 هـ 1984 م .، ص 173 .

9- يُنظر د.درويش ، أحمد ، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتُّراث ، دار غريب للطباعة والنَّشر ، القاهرة ، ص 131 .

10- يُنظر المرجع السَّابق ، ص 134 .

11- يُنظر الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود مُحمَّد شاكر ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الخامسة 2004 م ، ص 336

12- يُنظر د.فيود ، بسيوني عبد الفتاح ، علم المعاني – دراسة بلاغيّة ونقديّة لمسائل المعاني ، ج2 ، ص 36 .

بقول الرُّسل قصر صفة البشريَّة عليهم ، وإنَّما التَّركيب هنا جاء بسبب إفراط الدِّقة في الحوار في محاولة إيناس نفوس المجادلِين [13] .

2-القصر بـ (إنَّما وأنَّما) :

أسلوب القصر بـ (إنَّما وأنَّما) ليس مساوياً في القوّة المعنويّة والدَّلاليّة والبلاغيّة لأسلوب القصر باستخدام (النَّفي والاستثناء) ، إلَّا أنَّ البلاغيين أدرجوا (إنَّما وأنَّما) في إطار الأساليب المؤديّة لمعنى القصر[14] ، ولعلَّ الدَّافع وراء ذلك أنَّ علماء البلاغة وجدوا في شرح النَّحويين لهاتين الأداتين نوعاً من التَّوكيد المحقِّق لمعنى القصر ، ويقول بعض البلاغيين ومنهم عبد القاهر إنَّ دلالة (إنَّما) على القصر دلالة وضعيَّة ..... وبالتالي فإنَّها لا تستخدم إلّا عندما يراد تصحيح معتقدٍ ، أو ظنٍ يذهب إلى نقيض المفهوم منها نحو قولك : (إنَّما جاءني زيدٌ) ، وتريد بذلك إثبات المجيء لزيدٍ ونفيه عن كلِّ ما عداه [15] ، فالنحويون والبلاغيون ذكروا أنَّ (إنَّما وأنَّما) مكونتان من (إنَّ وأنَّ) الحرفان المشبَّهان بالفعل و(ما) النَّافيَّة ، واصطلحوا على تسميّة كلٍّ منهما (الكافَّة والمكفوفة) ، وبيَّنوا أنَّ دلالتهما قريبة من دلالة (ما وإلَّا) ، أي دلالة أسلوب القصر باستخدام (النَّفي والاستثناء) ، بدليل أنَّ عبد القاهر عندما أراد توضيح معنى القصر باستعمال (إنَّما) ، استعان بسيبويه ، فقد أوضح أنَّ (إنَّما) تجيء للخبر الذي لا يجهله السَّامع ، ولا ينكر صحته ، أو لأيِّ أمرٍ ينزل منزلة جهل السَّامع [16] ، علماً أنَّ عبد القاهر أشار سابقاً إلى أنَّ (إنَّما) ترد لتصحيح معتقد خاطِئ ، ولكنَّه برَّر معنى (إنَّما) للخبر الذي لا يجهله السَّامع بما ذهب سيبويه في باب : (الفعل الذي يتعدَّى اسم الفاعل إلى اسم المفعول واسم الفاعل والمفعول فيه شيء واحد) ، وذلك في سياق حديثه عن التَّقديم والتَّأخير الحاصل بين اسم كان وخبره ، مبيناً أنَّ المُقدَّم من اسمها وخبرها ، هو المعلوم لدى السَّامع ، وإنَّما ينتظره السَّامع هو معرفة ما يأتي بعد ذلك [17] ، غير أنَّ عبد القاهر الجرجاني يرجح المعنى السَّابق إذ يقول :((فإذا تأمَّلت مواقعها ، وجدتها في الأمر الأكثر قد جاءت لأمرٍ قد وقع العلم بموجبه ، وبشيء يدلُّ عليه)) [18] ، وهو بذلك يوافق سيبويه ، إلَّا أنَّه لم يكن مُستسلِماً لآراء سيبويه في إفادة (إنَّما) معنى القصر، لأنَّ سيبويه عموماً أغفل دور (إنَّما) أو (أنَّما) في تحقيق معنى القصر ، والجدير بالذكر أنَّ القصر بـ (إنَّما) ، أكثر انتشاراً من القصر بـ (أنَّما) ، لأنَّها تصير أداةً للحصر ، تحمل معناه ، وتدخل معنى النَّفي على أوَّل الجملة ، أو تؤولها به ، نحو قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ** ﴾ الرَّحمن 60 [19] ، ويرى علماء الأسلوب أنَّ (إنَّما) تحقِّق معنى القصر والاختصاص ، ليس فقط بسبب حملها معنى (النَّفي والاستثناء) اعتماداً على كلام المحققين والمفسرين النحاة واللغويين ، وإنَّما لأنَّها تعتمد على مجراها في الأسلوب ، وإنَّ ذلك يقتضي أنْ تكون أفادت الإثبات والنَّفي معاً ، وهذا من أقوى الأدلة وأحكمها ..... وليس ذلك يعني أنَّ

13- يُنظر د.أبو موسى ، مُحمَّد مُحمَّد ، دلالات التَّركيب – دراسة بلاغيّة ، مكتبة وهبة ، الطَّبعة الثَّانيَّة 1408 هـ 1987 م ص 129

14- يُنظر الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص 329 .

15- يُنظر د.أبو موسى ، مُحمَّد مُحمَّد ، دلالات التَّركيب ، ص 138 – 139 .

16- يُنظر الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص 351.

17- سيبويه ، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة ، 1408 هـ 1988 م ، ج1 ، ص 47 – 48 .

18- الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص 351.

19- يُنظر د.سقَّال ، ديزيره ، علم البيان بين النَّظريات والأصول ، دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى 1997 م ، ص 108 – 109 .

(إنَّما) متضمنة معنى (ما و إلَّا) ؛ بل هناك فروق معنويَّة ودلاليَّة بينهما من خلال السِّياقات والتَّراكيب [20] . ويشير البلاغيون إلى أنَّ القصر بـ (إنَّما) هو للمعاني المأنوسة القريبة من النُّفوس ، ولا تدخل على الحقائق الغريبة ، والأفكار البعيدة ... وهذا بخلاف القصر بطريقة (النَّفي والاستثناء) التي تكون للمعاني الشديدة الحادَّة التي تسمع لها قعقعة ، وللمعاني النَّافرة ، وللحقائق النَّادرة التي تنكرها النُّفوس وتمقتها ، وهي تشبه الحراب التي يفتح بها المتكلم أبواب القلوب ، أمَّا (إنَّما) ، فهي أداة رقيقة هامسة ، لا تزعج النُّفوس ، لذلك تُستخدَم وفقاً للقاعدة البلاغيّة : (لكل مقام مقال) ، فنقول للذي يشعر بشيء من اللوم والنُّفور تجاه صديقه : (لا تغضب من زيدٍ ،فإنَّما هو صديقك) ، فبذلك تمتص غضبَه بلين ورفقٍ ، وكأنَّك تربتُ على كتفه في لين ومودة ، في حين أنَّك لو قلت له : (لا تغضب من زيدٍ ، فما هو إلَّا صديقك) ، فإنَّ كلامك ليس مناسباً للمقام ، لأنَّ فيه قعقعة وجَلبة ، والسِّياق هنا سياق ملاطفة ومعاينة ، ولا يجوز إحداث قعقعة توتِّر الأجواء [21] .

والحديث عن (إنَّما) هو حديث عن (أنَّما) ، إلَّا أنَّ الباحثين آثروا ذكر (إنَّما) على (أنَّما) ، علماً أنَّهما متوافقتان في العمل ، ولعل الباحثين أرادوا بـ (إنَّما) أيضاً (أنَّما)في سياق حديثهم [22] ، فالزمخشري أجرى (أنَّما) مجرى (إنَّما) ، وحمَّلها الإشارات والدَّلالات التي تضمنتها (إنَّما) ، وذلك في شرحه لقوله تعالى : ﴿ **فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ هود 14 ، إذ يقول : ((أي ملتبساً بما لا يعلمه إلَّا الله ، من نظم معجز للخلق ، وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه)) [23] ، ويذكر أنَّ (إنَّما) وردت في القرآن الكريم مئة وإحدى عشرة مرة ، وقد تحقَّق فيها معنى القصر ، ولعلَّ أشهرها قوله تعالى على لسان سيِّدنا (مُحمَّد) (صلَّى الله عليه وسلَّم) ، في أواخر سورة الكهف : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾ الكهف 110 ، ليؤكد على أنَّ رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) هو بشر ، وليس بعالم للغيب إلّا بما يُوحى إليه ، فما تلاه من قصة أهل الكهف المُعجِزة ، وغير المعقولة في عالم المنطق ، إنَّما هي من الله تعالى بطريق الوحي . بينما وردت (إنَّما) في القرآن الكريم تسع عشرةً مرَّة ، وليس من سبيل المصادفة ، أنْ ترد (إنَّما) مع (أنَّما) في الآية الكريمة السَّابقة في دلالة مشتركة للتأكيد على دور الأداتين في القصر ، وإنْ ذُكرت (إنَّما) في القرآن ما يقارب ستة أضعاف ما ذُكرت به (أنَّما) .

3- القصر باستخدام حروف العطف : (بل – لا – لكن) :

يعدُّ القصر باستخدام حروف العطف ، من أقوى طرق القصر ، وأكثرها قدرة على التَّأكيد وبعضهم يجعلها موازيَّة (للنفي والاستثناء) ، إنْ لم تتفوَّق عليها في قوة التَّأكيد وتمكين المعنى وترسيخه في ذهن المُتلقي ، لأنَّ فيها يُصرَّح بالقصر فيه بكلٍّ من المُثبَت والمَنفي صراحةً ، نحو قولنا : (ما زيدٌ كاتبٌ ؛ بل شاعرٌ) ، فقد أثبتنا الشِّعر لزيدٍ ، ونفينا عنه الكتابة ، بينما الطُّرق الأخرى يُفهَم النَّفي فيها ضمناً ، لذلك قدَّم البلاغيون العطفَ بوصفه أقوى طرق القصر .

20- يُنظر د.أبو موسى ، مُحمَّد مُحمَّد ، دلالات التَّركيب – دراسة بلاغيّة ، ص 145 – 147 .

21- يُنظر المرجع السَّابق ، ص 148 .

22- يُنظر الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنَّكة ، البلاغة العربيّة – أسسها وعلومها وفنونها ، وصور من تطبيقاتها ، بهيكل جديد من طريف وتليد ، دار القلم دمشق ، دار الشَّاميّة بيروت ، الطبعة الأولى 1996 م ، ج1 ، ص 531 .

23- الزمخشري ، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، 467- 538هـ، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض ، شارك في تحقيقه ، الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي ، مكتبة العبيكان – الرياض – الطَّبعة الأولى ، 1418 هـ -1998 م ، ج2 ، ص 188 .

أ – العطف بـ (بل) :

أورد ابن قيِّم الجوزيَّة لهذا الحرف في حالة الحكم المُثبت معنيين ، وفي الحكم المنفي معنيين أيضاً ، فإذا قلنا : (جاءني زيد ؛ بل عمرٌو) ، فلهذا التَّركيب بالحكم المثبت معنيان : [24] أوّلهما : أنّنا أثبتنا المجيء للمعطوف عليه (زيدٌ) ، ونفيناه عن المعطوف (عمرو) ، وثانيهما : أنَّه يمكن أن نثبت المجيء للمعطوف ، والمعطوف عليه معاً ، واستخدام (بل) هنا جاء لنفي الاقتصار على المعطوف عليه ، لا لنفي الإسناد إليه ؛ بل لنفي الاقتصار على الإسناد ، وهذا ما يُسمَّى : إضراب اقتصار ، ويكثرُ استخدام هذا الأسلوب في القرآن الكريم ، نحو قوله تعالى : ﴿**بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ** ﴾ الأنبياء 5 .

وإذا قلنا : (ما جاءني زيد ؛ بل عمرٌو) ، فلهذا التَّركيب بالحكم المنفي بـ (ما) معنيان أيضاً : [25] ، أوّلهما : أنَّنا نفينا المجيء عن المعطوف عليه (زيد) ، وأثبتناه للمعطوف (عمرو)، وهذا قول الغالبية، وثانيهما: أنَّه يمكن أنْ ننفي المجيء للمعطوف والمعطوف عليه على حدٍّ سواء، بينما يُعدّ بعضُ النحويين (بل) حرف إضراب عن الأوَّل ، وإثبات للثَّاني، وقد أُختُلِفَ في حركة الاسم المعطوف، في أنْ يكون مُطابقاً لحركة المعطوف عليه، نحو قولنا : (مررْتُ برجل؛ بل حمارٍ) ، أو أنْ يكون مرفوعاً بوصفه خبراً لمبتدأ محذوف ، نحو قولنا : (مررْتُ برجل ؛ بل حمارٌ) [26] .

أمَّا البلاغيون فإنَّهم يجيزون حصول معنى القصر بـ (بل) سواء أكان الحكم مثبتاً أم منفياً، نحو قولنا : (الأرض متحركة لا ثابتة) ، فهنا (الأرض) مقصور ، و(متحركة) مقصورٌ عليه ، فرتبته سابقة للأداة ، بينما في قولنا : (ما الأرض ثابتة ؛ بل متحركة) و(ما الأرض ثابتة ، لكن متحركة) ، (فهنا (الأرض) مقصور ، و(متحركة) مقصورٌ عليه ، وهذا يعني أنَّ المقصور عليه في (بل) و (لكن) يكون بعدهما [27] . بينما يشترط بعض البلاغيين لضرورة حصول القصر بحرف العطف (بل) اجتماع شرطين : [28]

- أنْ يكون المطوف بها مفرداً ، أي : غير جملة .
- أنْ تكون مسبوقة بإيجاب ، أو أمر ، أو نهي ، أو نفي .

كما يشيرون إلى أنَّ (بل) تفيد العطف والقصر ، والمقصور عليه بها هو ما بعدها ، المعطوف بها ، بينما المقصور عنه هو المعطوف عليه [29] ، بينما يرى آخرون أنَّ (بل) يجب أنْ تقع بعد النفي لإفادة القصر ، في حين أنَّها إذا جاءت بعد الإثبات فإنَّها لا تفيد هذا المعنى ، نحو قولنا : (جاء زيد ؛ بل عمرو) ، لأنّنا هنا أثبتنا مجيء

24- يُنظَر ابن قيّم الجوزية ، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ، بدائع الفوائد ، تحقيق علي بن محمد العمران ، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد ، تمويل مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية ، دار عالم الفوائد للنشر و التوزيع ، ج4 ، ص 1655 .

25- يُنظَر المصدر السَّابق ، ج4 ، ص 1656 .

26- يُنظَر ابن فارس ، أبي الحسين أحمد بن زكريَّا الرَّازيّ اللغويّ ،الصَّاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، تحقيق الدّكتور عمر فاروق الطَّبَّاع ، مكتبة المعارف ، بيروت – لبنان ، الطَّبعة الأولى 1414 هـ 1993، ص 149 .

27- يُنظر د.سلوم ، علي جميل ، د. نور الدّين ، حسن ، الدَّليل إلى البلاغة وعروض الخليل ، دار العلوم العربيَّة ، بيروت لبنان ، الطَّبعة الأولى ، 1410 هـ 1990 م ، ص 81 .

28- يُنظر الميداني ، عبدالرحمن حسن حبنَّكة ، البلاغة العربيّة – أسسها وعلومها وفنونها ، ج1 ، ص 534 .

29- يُنظر المرجع السَّابق ، ج1 ، ص 534 – 535 .

(زيد)، ونفينا مجيء (عمرو) ، ولم ننفِ المجيء عن (زيد) ، وبالتالي فالقصر غير واقع [30] . وبإجراء مقارنة يسيرة بين طريقتي القصر السَّابقتين ، وطريقة القصر باستخدام العطف بـ (بل) يظهر ما يلي : [31]

- إذا كان القصر بـ (إنَّما) ، أو (أنَّما) ، فإنَّ المقصور يليهما .
- إذا كان القصر بـ (ما و إلّا) ، فإنَّ المقصور عليه يكون بعد (إلّا) غالباً .
- إذا كان العطف بـ (بل) و(لكن) ، فإنَّ المقصور عليه يكون بعدهما .

ويُذكر أنْ العطف بـ (بل) ، ورَدَ ذكره في القرآن الكريم مئة وإحدى وعشرين مرَّة ، وقد تحقَّق معنى القصر فيها جميعاً – إنْ تبنَّينا أنَّ (بل) تؤدي معنى القصر في أحوالها المختلفة – ولعلَّ أشهر مواضعها في قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ آل عمران 169 .

ب – العطف بـ (لا) :

إذا كان العطف بـ (لا) العاطفة ، فإنَّ المقصور عليه يأتي بعدها [32] ، وعلى نقيض ما اُختلِف فيه من العطف بـ (بل) ، في إفادتها لمعنى القصر في الحكم المَنفي ، أو إفادته للقصر في الحالتين ، فإنَّ العطف بـ (لا) يُفاد بها معنى القصر في كل الصّور ، لأنَّه لا مجال لمجيء الحكم منفياً في تركيب الجملة المعطوفة بـ (لا) ، لأنَّها منفيَّة أصلاً بهذه الأداة ، فنقول : (هو شاعر ، لا كاتب) ، وبذلك عُدَّتْ (لا) مُحقِّقة لمعنى القصر [33] ، لكن يُشترط بها أن يكون معطوفها مفرداً ، وغير داخل في عموم ما قبلها ، وأن تكون مسبوقة بإيجاب أو أمر أو نداء ، وأن لا يصدق أحد معطوفيها على الآخر ، وهو أمر بدهي [34] .

واللافت للنَّظر أنَّه في كلِّ ما قرأناه عن إفادة (لا) العاطفة لمعنى القصر لم نجد باحثاً يوظِّف شاهداً من شواهد القرآن الكريم في إفادة (لا) العاطفة لمعنى القصر ، مما دفعنا للبحث في القرآن الكريم عن شاهدٍ ما ، إلَّا أنَّنا لم نجد ، ولذلك نرى الباحثين يستشهدون بشواهدَ شعريَّة أو نثريَّة منها قول المتنبيّ مادحاً : [35]

تَشَرَّفُ عَدنانٌ بِهِ لا رَبيعَةٌ وَتَفتَخِرُ الدُنيا بِهِ لا العَواصِمُ

ت – العطف بـ (لكن) :

تختلف (لكن) عن (لا) من حيث الدَّلالة في الإثبات والنَّفي ، فما يكون واقعاً بعد (لا) منفي عنه الحكم ، وما يكون واقعاً بعد (لكن) ثابت له الحكم في النَّفي ، ولكنَّهما يشتركان في إفادة معنى القصر ، وتحويل ذهن المخاطَب من المعنى الخاطئ إلى المعنى الصواب ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾ الأحزاب 40 ، فالسِّياق القرآنيّ ينفي أنْ يكون الرسول مُحمَّد (صلَّى الله عليه وسلَّم) أباً لأحدٍ ما من الرِّجال ، وإنَّما هو مُكلَّف بتأديّة رسالة الله إلى البشر [36] . ويرى الدّسوقيّ في

30– يُنظر د.أبو موسى ، مُحمَّد مُحمَّد ، دلالات التَّركيب ، ص 95 .

31– يُنظر د.عباس ، فضل حسن ، البلاغة فنونها ، وأفنانها – علم المعاني – ، دار الفرقان للنَّشر والتَّوزيع ، الطَّبعة الرَّابعة 1417هـ 1997 م ، ص 368 .

32– يُنظر المرجع السَّابق ، ص 368 .

33– يُنظر د.أبو موسى ، مُحمَّد مُحمَّد ، دلالات التَّركيب ، ص 95 .

34– يُنظر د.فيود ، بسيوني عبد الفتاح ، علم المعاني ، ج2 ، ص 29 .

35– ديوان المتنبيّ ، تحقيق البرقوقي ، عبد الرَّحمن ، النَّاشر دار الكتاب العربيّ ، بيروت لبنان ، الطَّبعة الأوّلى 1407 هـ 2986 م ، ج 4 ، ص 107 .

36– يُنظر د.أبو موسى ، مُحمَّد مُحمَّد ، دلالات التَّركيب ، ص 97 .

هذه الآية أنَّ القصر هو قصر قلب ، لأنَّ المشركين – لعنهم الله – كانوا يعتقدون أنَّ مُحمَّداً أبٌ لـ (زيد) ، وأنّه لا يحمل الرِّسالة ، فقلب الله اعتقادهم ، وخالف ظنَّهم [37] . ويشترط بعض علماء البلاغة كي تفيد (لكن) معنى القصر أنْ يسبقها نفي أو نهي ، وأنْ يليها مفرد ، وشأنها في ذلك شأن (بل) ، نحو قولنا : (ما أكرمني زيد ، لكن عمرو) ، فقد قصرنا الإكرام على (عمرو) ونفيناه عن زيد ، ومنهم من اشترط عدم اقترانها بالواو ، لكنَّه رأي ضعيف ، لتحقيقها معنى القصر في الآية السَّابق ذكرها بأسلوب جيد ، وتركيب ممتاز [38] .

ومن الأمثلة الشِّعريَّة التي تفيد فيها (لكن) معنى القصر قول الشَّاعر أبي فراس الحمدانيّ : [39]

وَما أَخوكَ الَّذي يَدنو بِهِ نَسَبٌ لَكِن أَخوكَ الَّذي تَصفو ضَمائِرُهُ

والقصر في بيت أبي فراس جاء مسبوقاً بحكم منفي ، وهو من الشُّروط التي أوجبها بعض البلاغيين ليتحقَّق معنى القصر بعد (لكن) ، فقد قصر أبو فراس الأخوَّة بالإنسان الذي يضمر ويظهر لك المحبَّة والإخلاص .

والعطف بـ (لكن) في هذا البيت عطف جملة على جملة، وليس عطف مفرد على مفرد، وهو أمر لم ينكره البلاغيون، فالقصر حاصل في الحالتين، والأمر ذاتُه ينطبق على (بل) أيضاً [40] ، بينما يرى باحثون آخرون أنَّ (لكن) سواء أكانت مسبوقةً بحكم مثبت أم منفي، فإنَّها لا تفيد القصر، وهناك خلافات كثيرة حول ذلك ، فمنهم من يرى أنَّ (لكن) لا تفيد القصر في أحوالها جميعاً، وبعضهم الآخر يرى في (بل) الأمر ذاته ؛ بل إنَّ بعضهم لا يعدُّ لفظة (بل) لفظة فصيحة ، ويرى آخرون أنَّ (لكن) لقصر القلب دون الإفراد ، ومنهم من يرى أنَّها للإفراد دون القلب [41] .

الطَّريقة الثَّانيَّة : القصر بالدلالات والقرائن في الكلام :

الدَّلالة أو القرينة في الكلام جزء لا يتجزأ من تكوين الجملة العربيَّة ، وغير العربيَّة ، وللقرائن تفصيلات ، ودراسات متخصِّصة ومُتشعِّبة ، ولا بدَّ لنا بدايةً أنْ نحدِّد معنى القرينة ، وكيف يمكن أنْ تدلَّ على معنى القصر في التَّركيب اللغوي ؟

فالقرينة تساعد على بيان المراد والمقصود من الكلام ، وهي إمَّا لفظية ، وإمَّا معنوية ، وإمَّا حاليَّة ولذلك قِيل : ((القرينة هي الأمر الدَّال على الشيء من غير استعمال فيه)) [42] .

ونظراً لدور القرائن في تحديد المعنى في التَّركيب ، فإنَّه لا بدَّ لها أنْ تؤدي في ترتيب معيَّن للألفاظ في سياقاتها معنى القصر ، لذا وضعنا هذا العنوان : (القصر بالدلالات والقرائن في الكلام) ، ولعلَّ المصطلح العلميّ المستخدم على نطاق أوسع من ذلك هو مصطلح (حرية الرُّتبة) ، الذي يشار به إلى الحريَّة في تغيير تراتبيَّة الجملة بما يسمح به نظام النَّحو ، والذي أطلق عليه عبد القاهر (نظرية النَّظم) ، وبفضل هذه الحريَّة والقدرة على التَّقديم والتَّأخير في

37- يُنظر التَّفتازاني ، سعد الدِّين ، شروح التَّلخيص ، وهي مختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ، ومواهب الفتَّاح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدِّين السَّبكي ، وقد وُضِع بالهامش كتاب الإيضاح لمؤلف التلخيص جعله كالشّرح له ، وحاشية الدّسوقي على شرح السَّعد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت – لبنان .، ج1 ، ص 383 .

38- يُنظر د.فيود ، بسيوني عبد الفتاح ، علم المعاني ، ج2 ، ص 33 .

39- ديوان أبي فراس الحمدانيّ ، تحقيق د.الدويهيّ ، خليل ، دار الكتاب العربيّ ، بيروت لبنان ، الطبعة الثَّانيَّة 1414 هـ 1994 م ، ص 173 .

40- يُنظر د.فيود ، بسيوني عبد الفتاح ، علم المعاني ، ج2 ، ص 34 .

41- يُنظر المرجع السَّابق ، ج2 ، ص 34 .

42- د.السامرائي ، فاضل صالح ، الجملة العربية والمعنى ، دار ابن حزم – بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1421هـ 2001 م ص 59 .

مفردات التَّراكيب ، يستطيع السِّياق أنْ يقدِّم غير واحد من المعاني التّي يحتاجها المُبدع أو المُرسل ، ويقصد بها سمع المُتلقي . واستناداً إلى حريّة الرُّتبة يمكن أنْ يتحقَّق معنى القصر بثلاث قرائن هي :

أوّلاً : القصر بتقديم ما حقُّه التأخير :

بحث النُحاة في أصل وضع التَّركيب بناءً على أنَّه جملة ، ووضعوا للجملة أصلاً يتكوَّن من ركنين هما المُسند والمُسند إليه ، وعدّوا كلَّ ما زاد عنهما هو فضلة ، وغير أساسٍ في أصل الوضع المُجرَّد للجملة [43] .

واستناداً إلى رُتبة عناصر الجملة في اللسان العربيّ ، فإنَّه لا بدَّ لتّقديم ما من حقِّه التَّأخير أنْ يكون لأغراض ودواعٍ بلاغيَّة أو معنويَّة أو جماليَّة لفظيَّة .

ثانيًاً : القصر بإضافة ضمير الفصل إلى الجملة :

1- مصطلح ضمير الفصل :

ضمير الفصل هو أحد ضمائر الرَّفع المُنفصِلَة ، مثل (هو وأنت ونحن ..... إلخ) ، التّي تأتي بين متلازمين ، كالمبتدأ والخبر ، أو بين غير المتلازمين كالخبر والنَّعت ، أو بين الخبر والتَّابع [44] . ونظراً لموقع ضمير الفصل في التَّركيب ، ووقوعه في موقع الفصل و التَّوسُّط بين مفردتين لا يحتاجانه فهذا يفيد بأنَّه ضمير فضلة لا محل له من الإعراب ، لأنَّه يُستخدَم عادةً لتقوية المعنى وزيادة التَّوضيح ، إلَّا أنَّ علماء النَّحو يشترطون في الاسم الواقع قبله ، والاسم الواقع بعده شروطاً معيَّنة ، وإنْ كان هناك خلافٌ في بعض جزئيات هذه الشّروط .

2- الشروط الواجب توافرها في ضمير الفصل :

يُشترَط في الاسم الواقع قبل ضمير الفصل أمران : [45]

- أنْ يكون مبتدأً في حال التَّكلُّم ، أو أنْ يكون في أصله ؛ أي أنْ يدخل عليه حال التَّكلُّم ناسخ من نواسخ الابتداء ، نحو قوله تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ البقرة 5 ﴿ **إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ** ﴾ الشُّعراء 44 ، أو أنْ يكون وقوع ضمير الفصل بين الحال وصاحبها ، نحو قولنا : (جاء زيدٌ هو ضاحكاً) .
- أنْ يكون هذا الاسم معرفةً ، وأجاز بعض علماء النَّحو أنْ يكون نكرةً ، نحو قولنا : (ما ظننت أحداً هو القائم) ، ونحو قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ** ﴾ النَّحل 92 .

ويُشترَط في الاسم الواقع بعد ضمير الفصل أمران أيضاً : [46]

- أنْ يكون خبراً للمبتدأ في حال التَّكلُّم ، أو أنْ يكون في أصله مبتدأً ؛ أي أنْ يدخل عليه حال التَّكلُّم ناسخ من نواسخ الابتداء ، أو أن يكون الخبر معرفة ، أو كالمعرفة ، ويقصد بالاسم الذي كالمعرفة الذي لا يقبل (ال) التَّعريف ، كما في أسلوب التَّفضيل (خيراً) و (أقلَّ) .
- أنْ يكون هذا الاسم الواقع بعد ضمير الفصل الذي كالمعرفة اسماً ، وإنْ لم يشترط الجرجانيّ ذلك ، وألحق المضارع بالاسم لتشابه الفعل المضارع ، واسم الفاعل [47] .

43- د.الملخ ، حسن خميس ، نظرية الأصل والفرع في النحو العربي ، دار الشروق ، عمان – الأردن ، الطَّبعة الأولى 2001 م ، ص 112- 113 .

44- سيبويه ، الكتاب ، ج2 ، ص 389. ويُنظَر ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب ، تحقيق الدّكتور عبد اللطيف مُحمَّد الخطيب ، السّلسلة التراثيَّة (21) ، ج5 ، ص 556 .

45- يُنظَر ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب ، ج5 ، ص 556 – 557 – 558 – 559 .

46- يُنظَر المصدر السَّابق ، ج5 ، ص 563 – 564 .

ويُشترط في ضمير الفصل ذاتِه أمران : [48]

- أنْ يكون الضمير ضمير رفع منفصل حصراً ، ولا يجوز أنْ يكون ضمير نصب مُنفصِل .
- أنْ يطابق ضمير الفصل المرفوع ما قبله في محله الإعرابيّ .

والجدير بالذكر أنَّ هذه الشّروط فيها استثناءات وآراء بين علماء النَّحو والبلاغة ، فبعضهم أجاز ما رفضه غيره من الباحثين ، وقصرنا على الشّروط الأكثر توافقاً وقبولاً عندهم .

3-الأغراض والفوائد البلاغيَّة لضمير الفصل : لضمير الفصل فوائد بلاغيَّة عدّة منها : [49]

أ- الإعلام بأنَّ ما بعده خبر لا تابع ، نحو قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ** ﴾ آل عمران 62 ، فوجود الضمير أفاد أنَّ ما بعده ، أي كلمة (القصص) هي خبر لـ (إنَّ) ، وليست نعتاً .

ب- التَّوكيد : نحو قوله تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ البقرة 5 [50] .

ولأنَّ أسلوب القصر يعدُّ نوعاً من أنواع التَّوكيد ، فإنَّه يفيد توكيد معاني القصر المتعدِّدة التي يدخل عليها ، فهو يفيد : [51]

- **توكيد القصر الحقيقيّ** : فبعض التَّراكيب تدلُّ على القصر من دون الحاجة إلى ضمير الفصل ، لأنَّه حاصل بالتَّركيب نفسِه ، إلَّا أنَّ إضافة ضمير الفصل إلى التَّركيب يقدِّم تأكيداً على تأكيد ، نحو قوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ البقرة 37 ، فالقرينة العقليَّة ، تُحتم اقتصار صفتي التّوبة و الرَّحمة على الله تعالى وحدِه ، ولا حاجة لإضافة ضمير الفصل ، إلَّا على سبيل التَّوكيد .
- **توكيد القصر الذي على جهة المبالغة** : قد تقدِّم بعض التَّراكيب معنى القصر ، بقصر الصِّفة على الموصوف باستخدام ضمير الفصل ، نحو قولنا : (زيد هو الشاعر) ، إلَّا أنَّ هذا القصر مبالَغ فيه ، لأنَّ (زيداً) ليس منفرداً في عالم الشِّعر ، أو مُحتكِراً له ، فهنالك عدد لا محدود من الشُّعراء ، ومن أمثلة ذلك في القرآن قوله تعالى واصفاً المُنافقين : ﴿ **أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ البقرة 12 ، ومن المعلوم أنَّ هناك مفسِدين آخرين ، وليس الأمر مقتصِراً على المُنافقين فقط .
- **توكيد معنى المُقايسة** : يُقصد بالمُقايسة ، الإخبار عن المقصور عليه ، وكأنَّك تريد أنْ تقول : هل سمعْتَ به ، وخبرتَ معرفته ؟ نحو قولنا : (الشَّاعر هو البحتريّ) ، فليس المُراد أنْ نقتصر الشِّعر على البحتريّ ، وإنَّما الإخبار عن شعريته ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ البقرة 157 ، فكأنَّنا نقول : هل سمعْتَ بالمُهتدين ، وخبرتَ حقيقتهم ؟ إنَّهم هؤلاء .
- **توكيد معنى الكمال** : نحو قوله تعالى : ﴿ **وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ** ﴾ النَّحل 105 ، فليس المقصود بضمير الفصل القصر فقط ، لأنَّ هؤلاء الكاذبين يتّصفون بأعلى درجة من درجات الكذب ، لأنَّهم كذَّبوا آيات الله أعظم

47- يُنظَر المصدر السَّابق ، ج5 ، ص 560 - 561 .

48- يُنظَر ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب ، ج5 ، ص 563 - 564 .

49- يُنظر د.السَّامرائيّ ، فاضل صالح معاني النَّحو ، العاتك لصناعة الكتب ، القاهرة ، ج1 ، ص 43 - 35 .

50- يُنظر د.السَّامرائيّ ، فاضل صالح معاني النَّحو ، ج1 ، ص 46 .

51- يُنظر المرجع السَّابق ، ج1 ، ص 50 وما بعدها .

الكذب، وهم مُعتادون على الكذب، ولا يشعرون بحرج ، ولا يمنعهم عنه مروءة أو دين [52] . ومنه قوله تعالى : ﴿ **إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ البقرة 128 ، فالله تعالى يتَّصف بصفات الكمال كافَّة ، ومنها صفة السَّميع [53] .

ت- الاختصاص والقصر :

يُنظر إلى ضمير الفصل عموماً على أنَّه ضمير رفع مُنفصِل لا محلَّ له من الإعراب ، ويجوز فيه الرَّفع على الابتداء ، والاسم بعده خبر له ، والجملة الاسميَّة المُكوَّنَة من ضمير الفصل وما يليه جملة اسميَّة محلُّها الرَّفع ، على أنَّها خبر للمبتدأ الأوَّل السَّابق لضمير الفصل [54] . هذا من النَّاحية النَّحويَّة الخالصة ، أمَّا من الوجهة البلاغيَّة ، فإنَّ ضمير الفصل عنصر هامٌّ من عناصر التَّركيب الذي يفيد معنى الاختصاص والقصر ، وقد ورد ذلك صراحةً في كتاب الإيضاح ، إذ يقول صاحبه في ضمير الفصل :

((وأمَّا توسُّط الفصل بينه وبين المُسنَد إليه فلتخصّصه به كقولك : زيد هو المنطلق ، أو هو أفضل من عمرو، أو هو خير منه ، أو هو يذهب)) [55] .

ويرى الزمخشريّ في قوله تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ البقرة 5 ، أنَّ ضمير الفصل هنا جاء لمنع اللبس في تحديد محلّ الكلمة الواقعة بعد ضمير الفصل ، فليست لفظة (المفلحون) نعتاً أو توكيداً، وإنَّما خبر، وبالتالي حصر فائدة المُسنَد بالمُسنَد إليه [56] .

ويُعدُّ معى القصر الحاصل بضمير الفصل ، من الوظائف المعنويَّة ، وعلماء البيان يذكرونه ، بينما وظيفة القصر اللفظيَّة ، والتي يتناولها علماء النَّحو ، تتمثل في أنَّ نظرتهم لضمير الفصل تنقسم إلى قسمين ، فهو فضلة ، لأنَّ الإعلام من أوَّل الأمر بأنَّ ما بعده خبر له لا تابع ، وهو أيضاً عماد لأنَّه قرينة لفظيَّة على معنى الكلام [57] .

ثالثاً : القصر بتعريف طرفي الإسناد :

من المعروف في الجملة الاسميَّة المُكوَّنة من المُبتدأ والخبر ، أنَّ يكون أصل المُبتدَأ معرفة ، والأصل في الخبر أنْ يكون نكرة [58] ، فإذا كان المُبتدَأ أو الخبر معرفتين ، فالرَّاجح أنَّ السَّابق منهما هو المُبتدأ ، واللاحق هو الخبر [59] ، لذا فإنَّ تعريف طرفي الإسناد في الجملة الاسميَّة ، يحقِّق معنى القصر ، فعندما يكون أحد طرفي الإسناد مُعرَّفاً بأل التي تكون للجنس ، فإنَّ هذا التَّعريف يدل على القصر سواء أكان المُعرَّف بها مُتقدِّماً أم مُتأخِّراً ففي قولنا : (مُحمَّد الكريم) و (الكريم مُحمَّد) ، القصر حاصل في الموضعين ، فيكون المقصور هو المُعرَّف بأل الجنسيَّة ، والمقصور عليه هو الاسم الآخر ، بينما إذا أردنا أن نقصر الكرم على (مُحمَّد) دون غيره فإنَّنا نقول : (مُحمَّد هو الكريم) و (أنت الكريم) ، وإن كان طرفا الإسناد معرفيين بأل الجنسيَّة نحو قولنا : (العالم المنطلق) ، فإنَّ

52- الزَّمخشريّ ، الكشَّاف ، ج3 ، ص 475 .

53- المصدر السَّابق ، ج1 ، 322 .

54- الميداني ، البلاغة العربيّة – أسسها وعلومها وفنونها ، ج1 ، ص 542 .

55- القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة – المعاني والبيان والبديع – تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت – لبنان ، الطَّبعة الأولى 1424هـ 2003 م ، ص 54 .

56- يُنظر الزَّمخشريّ ، الكشَّاف ، ج1 ، ص 158 .

57- يُنظَر ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب ، ج5 ، ص 568 .

58- يُنظَر سيبويه ، الكتاب ، ج1 ، ص 328 .

59- يُنظَر المصدر السَّابق ، ج1 ، ص 23 – 24 .

السِّياق هو الذي يحدِّد المقصور من المقصور عليه [60] . ولا يقتصر الأمر في تعريف طرفي الإسناد على الجملة الاسميَّة ؛ بل كذلك الأمر بالنِّسبة للجملة الفعليَّة التي يكون الفعل فيها بقوَّة النَّكرة ، فلا يكون فيها المُسنَد مُعرَّفاً ، وعموماً فإنَّ تركيز البلاغيين يكون على الجملة الاسميَّة التي عُرِّف طرفاها ، إذ يرون أنَّ تعريف طرفي الإسناد ، قد يفيد معنى القصر بمشاركة القرائن الأخرى الحاليَّة أو المقالية [61] ، ومن هنا جاء قصر الحكم على المُسنَد إليه حقيقةً أو مبالغة ، كما في قولنا : (زيدٌ الشَّاعر في هذه الغرفة) ، فهذا يعني أنَّنا قصرنا الشَّاعريَّة على زيد داخل الغرفة ، ونحو قولنا : (مُحمَّد الغيث) ، على سبيل المُبالغة في إظهار كرم الممدوح ، فقد قصرنا الكرم وغوث المُحتاج على مُحمَّد من دون سواه [62] .

الطَّريقة الثَّالثة : الدَّلالة على القصر من خلال العبارة بمادتها اللغويَّة :

هناك بعض العبارات اللغويَّة التي يفيد تركيبها النحوي أو عبارتها اللغويَّة معنى القصر ، فقد أشار الدكتور عبد العزيز عرفة إلى إمكانية ذلك باستخدام لفظة (فقط) أو (وحده) أو باستخدام اللفظ الصَّريح للقصر الفعل (يختَّص) وما يُشتق منه [63] ، و من خلال تتبُّعنا لهذه الأساليب وجدنا أنَّ هذه التَّراكيب لا حصر لها ، فقد تقدِّم (الصِّفة) معنى القصر مثل قولنا : (جاء مُحمَّد الصغير) ، فقد قصرنا المجيء على مُحمَّد الصغير ، ولم نقصد مجيء مُحمَّد الكبير أو الطويل أو القصير أو العالم ، وكذلك (الحال) قد تحمل أحياناً معنى القصر كما في قولنا : (جاء مُحمَّد وحيداً) ، فقد قصرنا المجيء على (مُحمَّد) دون غيره ، وقد نفينا مجيء أحدٍ أخر معه ، ... إلخ ، فنحن في العبارات السَّابقة لم نستخدم أيَّ نوع من أنواع القصر المعروفة والمشهورة التي ذكرناها آنفاً ، كالنفي والاستثناء ، وإنَّما وأنَّما ، وحروف العطف ، وتقديم ما حقُّه التَّأخير ؛ بل إنَّ القصر حاصلٌ بالمعنى اللغويّ للعبارة ، أو بالبنيّة السَّطحية للتَّركيب ، والحقيقة أنَّ العبارة بمادتها اللغويَّة ينضوي في ثناياها أكثر ممَّا أسلفناه بكثير ، لأنَّ معنى القصر والاختصاص يتحقَّق في عبارات كثيرة بفضل السِّياق ، ولربَّما كان السِّياق هو العامل الأهمُّ في تحديد القصر ، كما في قولنا : (اصطفيتك صديقاً لي من بين الناس كلِّهم) ، فهنا تحقَّق القصر بالعبارة والسِّياق وبالتَّركيب ، وهو كثير الورود في القرآن الكريم ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى على لسان قوم هود الذّين كذَّبوه ورفضوا عبادة الله وحده ، وإنَّما أرادوا عبادة سواه :﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ**﴾ الأعراف 70 ، فقد استنكر قوم هود عبادة الله المختَّص بقصر الوحدانيَّة عليه ، ولولا أنَّ التركيب القرآني باستخدام الحال (وحده) لم يقصر العبادة لله وحده ، لظنَّ قوم هود أنَّه يجوز عبادة أحدٍ آخر مع الله ، فقد جاء القصر لدفع شكٍّ أو وهمٍ سابق . ومن الإعجاز القرآنيّ الذّي يبهر السّامع ، ويدخل إلى قلبه الطمأنينَّة بالوحدانية ، أنَّ هذا الأسلوب من أساليب القصر باستخدام كلمة (وحده) ، وردت في القرآن الكريم (ست مرات) ، وكلُّها سُبقَتْ بلفظ واحد مُكرَّر ، وهو لفظ الجلالة (الله) أو (ربُّك) ، في الآيات الكريمة الآتيَّة : (الأعراف 70 – الإسراء 46 – الزمر 45 – غافر 12 – غافر 84 – الممتحنة 4)، وليس من قبيل المصادفة أنْ يكون الخطاب في أربع من تلك الآيات مخصَّصاً لمناقشة المشركين ، بل الكافرين المصرين على رأيهم ، والمنكرين بأقصى درجات الإنكار وحدانيَّة الله الذي لا شريك له ؛ بل إنَّنا نجد في كلٍّ من هذه الآيات النُّفور والاستنكار والاشمئزاز ، والرفض القاطع لوحدانيّة الله ، والامتناع عن عبادته ، وذلك في الآيات الآتيَّة : (الأعراف 70 – الإسراء 46 – الزمر 45 – غافر 12) كما في

60- ويُنظَر د.فيود ، بسيوني عبد الفتاح ، علم المعاني ، ج2 ، ص 54 .

61- يُنظَر الميداني ، البلاغة العربيَّة – أسسها وعلومها وفنونها ، ج1 ، ص 544 .

62- يُنظر د.سقَّال ، ديزيره ، علم البيان بين النَّظريات والأصول ، ص 83 .

63- يُنظَر د.عرفة ، عبد العزيز عبد المُعطي ، من بلاغة النَّظم العربي ، ج2 ، ص 21 – 22 .

قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ** ﴾ الزمر 45 . بينما كان الخطاب في اثنتين من الآيات الكريمة مُخصَّصاً للحديث عن تَوبة مجموعة من هؤلاء الرافضين و المتعنتين ، في قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آَمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ** ﴾ غافر 84 ،﴿ **وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾ الممتحنة 4 ، فالقصر الذّي أفادته لفظة (وحده) في القرآن جاءت في سياق حديث الكافرين (أربع مرات) ، وهو ضعف عدد المرَّات الذّي جاء في سياق حديث التائبين ، وهذه الحقائق العدديّة لا بدَّ أنَّ لها ما يبررها ، وبالتالي تقدِّم معانيَ إضافيَّة . ومما سبق نجد أنَّ القصر يتحقَّق بالعبارة اللغويَّة ذاتِها ، وليس بالضرورة بمكان أنْ يرد القصر بالأساليب المعروفة والمتداولة عند علماء البلاغة المتقدمين والمتأخرين ، وقد أشار بعض علماء البلاغة إلى أنَّ القصر مثلاً قد يحدث في أسلوب الالتفات بالانتقال و التَّحوّل من الزمن المضارع إلى الزمن الماضي ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ** ﴾ النَّحل 89 ، فقد جاءت هذه الآية في سياق ذكر بعث الأنبياء والرُّسل شهداء على أقوامهم ، وخصَّص خاتم الرُّسل (صلَّى الله عليه وسلَّم) ، بالمزيد من العناية والتَّكريم بأنْ جعله الله عزَّ وجلَّ شهيداً على هذه الأمم والأقوام كلِّها ، وإنْ كان هذا المعنى غير مقروءٍ في سطور عبارات التَّفسير ، إلَّا أنَّه يتضمن شيئاً من هذا القبيل ، وهذا ما ذهب إليه بعض المفسِّرين [64] ، فالتَّحول بالخطاب إلى رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) ، بعد الحديث عن يوم البعث بقوله : (جئنا بك) ، فيه تحوُّلان؛ تحوُّل بالالتفات من المضارع إلى الماضي ، وتحوُّل بالتَّرادف من البعث إلى المجيء ، وإيثار لفظة (المجيء) وتخصيصها بالرسول الكريم ، عوضاً عن (البعث) ، فيها إعلاء لشأنه (صلَّى الله عليه وسلَّم) ، وتخصيص له بالعناية والتَّكريم والإجلال .

واستناداً إلى كون أسلوب القصر يؤكِد المعاني و يقويها ، فإنَّنا نلحظ أنَّ القصر يتحقَّق في غير موضعٍ من مواضع التوكيد المعنوي ، نحو قولنا : (جاء الطَّالب نفسُه) ، فقد قصرنا المجيء على الطالبِ ذاتِه الذي يرتبط بعلاقة ذهنيَّة بين المُرسِل والمتلقي ، وإنْ كان القصر هنا يحدِّد (الطالب) ، المُتعارف عليه بين المتخاطبين ، فإنَّ ذلك لا يعني مجيئه منفرداً ، فقد يشترك معه طالب أخر في المجيء ، لكنَّ القصر حاصل على ذلك الطَّالب لأنَّه المقصود والمطلوب ، وليس غيره من الطُّلاب .

ومن الأساليب النَّحويَّة التّي تفرز تراكيبها معنى القصر والتَّخصيص ، هو أسلوب (البدل) بنوعيه : البدل غير المطابق وبدل الاشتمال ، إذ إنَّ المُبدَل منه عامٌّ شامل ، غير محدَّد بجزء حقيقي أو بصفة معينة ، لذلك يُستخدم المُبدَل منه لإظهار معنى القصر ، نحو قولنا : (قرأتُ عن عمر بن عبد العزيز عدلِه) . كما يمكن أنْ يتحقَّق القصر باستخدام لفظة مشتقة من مادة (قصر) أو(حصر) أو(خصص) ، كأنْ نقولَ مثلاً : (النَّجاح مقصور على المجتهدين) و(القاضي مختَّصٌ بالحكم على المُخالفِين) و(حياة البشر محصورة بوجود الماء والهواء والغذاء) .

وعلى الرَّغم من إفادة هذه الألفاظ لمعنى القصر ، إلَّا أنَّ علماء البلاغة عدُّوها من أساليب القصر اللغويّ ، ولم يحسبوها من القصر الاصطلاحي ، لأنَّها لا تحقِّق في رأيهم الأغراض البلاغيَّة التي تُفاد من طرق القصر التي تواضعوا عليها ، كالتأكيد والحسم والتَّصوير والتَّعريض ، وغير ذلك [65] .

كما يمكن لقرينة التَّضام – وهي إحدى القرائن اللفظيّة – أنْ تحقِّق معنى القصر والاختصاص .

64- يُنظر الزمخشري ، الكشاف ، ج2 ، ص 487 .

65- يُنظَر د.عرفة ، عبد العزيز عبد المُعطي ، من بلاغة النَّظم العربي ، ج2 ، ص 21 – 22 .

والتَّضام أن يستلزم أحد العنصرين النحويين عنصراً أخر ، فيكون التَّضام على هيئة (التَّلازم) ، وعكسه أنْ يتنافى معه فلا يلتقي به ، ويكون حينئذٍ على هيئة (التَّنافي) ، إذ إنَّ الشّق الأوّل منها (التَّلازم) ، يستلزم وجود أحد العنصرين وجود الآخر ، وتضام التَّلازم نوعان : (المبنى الوجودي ، والمبنى العدميّ) ، كما أنَّ الشّق الآخر منها (التَّنافي) يستلزم عدميَّة أحد المتنافيين عند حصول الآخر ، لأنَّ ذكرها يوقع في اللبس 66 ، ومن أمثلة القصر بأسلوب التَّضام ، صيغ التَّعجب السَّماعيَّة التي تستلزم ذكر الله في معظم تراكيبها مثل قولنا : (ما شاء الله و الله أكبر وسبحان الله) ، فقد قصرنا المشيئة والتَّسبيح والتكبير على الله وحده ، وليس على سواه .

وخلاصة القول : إنَّ أسلوب القصر لا يقيِّده نوع محدَّد ؛ بل يظهر في سياق الكلام ، أو باستخدام ألفاظ معيَّنة مثل : وحده وفقط ولا غير ، أو باستخدام لفظة مشتقة من مادة قصر أو حصر أو خصص أو أيَّ لفظة تؤدي هذا المعنى [67] .

الطَّريقة الرَّابعة : الدَّلالة على القصر بدليل خارج عن النَّص :

ليست عمليّة تحديد معنى القصر بهذا الأسلوب من الأمور اليسيرة المتوفرة ، خصوصاً لدى القارئ العادي، لأنَّها تعتمد أساساً على دلائل وقرائن غير موجودة في مفردات التَّركيب المسموع أو المقروء ، أيّ إنَّ العبارة لا تحوي قرينة من القرائن المعنويَّة أو اللفظيَّة التّي تعين على استخلاص معنى القصر و التَّخصيص . إلّا أنَّنا يمكن أنْ نصنف هذا الأسلوب فيما يُعرف بقرينة المقام ، وهي من القرائن الحاليَّة ، وليست من القرائن المعنويَّة ، أو اللفظيَّة، وهي قرينة مهمَّة جداً ، لأنَّ مراعاة المقام ضرورة واجبة ، وهي أساس من أُسس البلاغة ، فلو جئت بأعلى الكلام وأبلغه ، فيما لا يناسب المقام عِيْب عليك ذلك ، وفي ذلك تعرَّض كثير من النَّاس للوم لعدم مناسبة كلامهم المُقال للمقام الذّي قِيل فيه . فإذا كان السِّياق هو مجرى الكلام وتسلسله واتِّصال بعضه ببعض ، فإنَّ المقام هو الحال التّي يقال فيها الكلام ، كأنْ يكون المقام مقام حزنٍ وبكاء ، أو مقام فرحٍ وسرور ، أو مقام تكريم ، أو مقام ذمٍّ ، أو غير ذلك من المقامات [68] .

ولكن كيف يمكن أنْ يتحقَّق القصر بدليل خارج عن النَّصّ ، أي بقرينة المقام ؟ يتحقَّق ذلك مثلاً عندما يقول طالب ما لزميله ، وهما ينتظران دخول مُدرِّس اللُّغة العربيَّة إلى الصَّف : (لقد جاء المُدرِّس) ، ولم يذكُر اختصاص المُدرِّس ؛ لأنَّ زميله المتلقي يعلم مسبقاً أنَّهما ينتظران مُدرِّس اللُّغة العربيَّة حصراً ، وليس مُدرِّساً من اختصاص آخر . ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم ما ورد في سورة الفاتحة في قوله تعالى : ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** ﴾ **الفاتحة 6 – 7** ، فقد ورد عن رسول الله (صلَّى الله عليه وسلَّم) ، عندما كان بوادي القُرَى وهو على فرسه ، إذ سأله رجل من بني القين عن المقصود بقوله تعالى : (المغضوب عليهم والضالين) ، فقال : المغضوب عليهم – وأشار إلى اليهود – والضالون هم النصارى [69] ، فقد قصر الرسول الكريم غضب الله هنا على اليهود ، ولسنا هنا نبتغي التَّكفير ، وإطلاق الأحكام على معتنقي الأديان ، وإنَّما أردنا أنْ نورد مثالاً على القصر الحاصل بدليل خارج عن النَّص المكتوب . والجدير بالذكر أنَّ بعض الباحثين المحدثين أشار إلى إمكانية حدوث القصر بهذا الأسلوب بدليل عقليّ أو حسِّيّ ، أو دليل تجريبيّ ، أو قرينة ذهنيّة ، أو حاليّة ، نحو قولنا: (فلانٌ رئيس للجمهوريّة) ، (الله ربُّ السَّماوات والأرض) [70] .

66– يُنظر د.حسان ، تمام ، اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية 1979م ، ص 217

67– يُنظر الميداني ، عبدالرحمن حسن حبنَّكة ، البلاغة العربيَّة – أسسها وعلومها وفنونها ، ، ج1 ، ص 530 .

68– يُنظر د.السَّامرائيّ ، فاضل صالح ، الجملة العربية والمعنى ، دار ابن حزم – بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 2000م – 1421 هـ ، ص 63 .

69– يُنظر ابن كثير القرشي الدّمشقيّ ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن الكريم ، تحقيق سامي بن مُحمَّد سلامة ، دار طيبة للنشر والتَّوزيع، الطَّبعة الثانية 1420 هـ 1999 م ، ج1 ، ص 142 .

70– يُنظر الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنَّكة ، البلاغة العربيَّة – أسسها وعلومها وفنونها ، ج1 ، ص 530 .

نتائج البحث:

1- يُعد القصر أسلوباً بلاغياً ، وضرباً من ضروب الإيجاز ، و ركناً من أركان البلاغة ، إذ يستطيع أنْ يحدِّد المعاني تحديداً كاملاً .

2- أسلوب القصر هو باب مُهمٌّ من أبواب البلاغة، وضرب من التأكيد في اللغة ، ويقوم بتأديّة المعاني المتنوِّعة التي تؤديها مباحث علم البلاغة بمفرداتها ، من مثل الاختصاص والتأكيد ، والمدح والذم ، والنّصح والإرشاد ، والتقرير، ومما لا حصر له من المعاني التي يمكن أنْ يحققها القصر من خلال تفاعله مع السِّياق الحالي و المقالي .

3- لم تحظَ طرق أسلوب القصر كلُّها باهتمام كبير من قبل البلاغيين قبل الإمام عبد القاهر الجرجاني، قد نجد تلميحات يسيرة في مَسرَد حديث العلماء عن أسلوب الاستثناء باجتماع (ما) و (إلّا) في تركيب واحد ، أو في توضيح معنى (إنَّما) في الكلام .

4- طرق القصر متعدِّدة ومتنوعّة ، ولا يمكن حصرها بأربعة أساليب فقط ، فهناك بعض العبارات اللغويَّة التي يفيد تركيبها النحوي أو عبارتها اللغويَّة معنى القصر ، مثل استخدام لفظة (فقط) أو (وحده) أو استخدام اللفظ الصَّريح للقصر بالفعل (يختَّص) وما يُشتق منه ، وكذلك قد يتأتَّى معنى القصر بالصفة أو الحال أو البدل .

5- من الطرق التي يقع فيها معنى القصر أيضاً وجود دليل خارج عن النَّص ، وهو ما يُعرَف بقرينة المقام .

المصادر والمراجع:

6- ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن زكريَّا الرَّازيّ اللغويّ ، الصَّاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، تحقيق الدّكتور عمر فاروق الطَّبَّاع ، مكتبة المعارف ، بيروت – لبنان ، الطَّبعة الأولى 1414 هـ 1993.

7- ابن قيّم الجوزية ، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ، بدائع الفوائد ، تحقيق علي بن محمد العمران ، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد ، تمويل مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية ، دار عالم الفوائد للنشر و التوزيع .

8- ابن كثير القرشي الدّمشقيّ ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن الكريم ، تحقيق سامي بن مُحمَّد سلامة، دار طيبة للنشر والتَّوزيع ، الطَّبعة الثانية 1420 هـ 1999 م .

9- ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب ، تحقيق الدّكتور عبداللطيف مُحمَّد الخطيب ، السّلسلة التراثيَّة (21) .

10- أبو موسى ، مُحمَّد مُحمَّد ، دلالات التَّركيب – دراسة بلاغيّة ، مكتبة وهبة ، الطَّبعة الثَّانيَّة 1408 هـ 1987 م

11- البرقوقي ، عبد الرَّحمن ، شرح ديوان المتنبيّ ، النَّاشر دار الكتاب العربيّ ، بيروت لبنان ، الطَّبعة الأوّلى 1407 هـ 1986 م

12- التَّفتازاني ، سعد الدِّين ، شروح التَّلخيص ، وهي مختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ، ومواهب الفتَّاح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدّين السَّبكي ، وقد وُضِع بالهامش كتاب الإيضاح لمؤلف التلخيص جعله كالشّرح له ، وحاشية الدّسوقي على شرح السَّعد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت – لبنان .

13- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود مُحمَّد شاكر، مكتبة الخانجي ، الطبعة الخامسة 2004 م

14- جطل، مصطفى، نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين الثَّاني والثَّالث الهجري ، مديريّة الكتب والمطبوعات الجامعيَّة ، جامعة حلب ، كليَّة الآداب ، 1979–1980 م .

15- حسين ، عبد القادر ، فنُّ البلاغة ، عالم الكتب ، الطَّبعة الثَّانيّة 1405 هـ 1984 م .
16- درَّاز ، صبَّاح عبيد ، أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغيَّة ، مطبعة الأمانة ، مصر ، الطَّبعة الأولى ، 1406 هـ ، 1986 م .
17- درويش ، أحمد ، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتُّراث ، دار غريب للطباعة والنَّشر ، القاهرة .
18- الدويهيّ ، خليل ، ديوان أبي فراس الحمدانيّ ، دار الكتاب العربيّ ، بيروت لبنان ، الطبعة الثَّانيَّة 1414 هـ 1994 م .
19- الزمخشري ، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 467- 538هـ ، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه ، الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي ، مكتبة العبيكان – الرياض – الطَّبعة الأولى ، 1418 هـ – 1998 م .
20- السَّامرائيّ، فاضل صالح، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم– بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 2000م – 1421 هـ
21- السَّامرائيّ ، فاضل صالح ، معاني النَّحو ، العاتك لصناعة الكتب ، القاهرة .
22- سقَّال ، ديزيره ، علم البيان بين النَّظريات والأصول ، دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى 1997 م
23- السَّكاكي ، أبي يعقوب يُوسف بن مُحمَّد بن عليّ ، مفتاح العلوم ، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطَّبعة الأولى 1420 هـ 2000 م .
24- سلوم ، علي جميل ، د. نور الدّين ، حسن ، الدَّليل إلى البلاغة وعروض الخليل ، دار العلوم العربيَّة ، بيروت لبنان ، الطَّبعة الأولى ، 1410 هـ 1990 م .
25- سيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة ، 1408 هـ 1988 م .
26- العاكوب، عيسى علي ، أ. الشَّتيوي ، علي سعد ، الكافي في علوم البلاغة العربيَّة – المعاني – البيان – البديع، منشورات الجامعة المفتوحة ، الإسكندريَّة ، 1993 م .
27- عباس ، فضل حسن ، البلاغة فنونها ، وأفنانها – علم المعاني – ، دار الفرقان للنَّشر والتَّوزيع ، الطَّبعة الرَّابعة 1417هـ 1997 م .
28- عرفة ، عبد العزيز عبد المُعطي ، من بلاغة النَّظم العربي ، دراسة تحليليَّة لمسائل علم المعاني ، عالم الكتب ، الطَّبعة الثَّانيَّة 1405 هـ 1984 م ، ج2 .
29- فيود، بسيوني عبد الفتاح، علم المعاني– دراسة بلاغيِّة ونقديَّة لمسائل المعاني، جامعة الأزهر مكتبة وهبة –القاهرة .
30- القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة – المعاني والبيان والبديع – تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلميِّة ، بيروت – لبنان ، الطَّبعة الأولى 1424هـ 2003 م .
31- الملخ ، حسن خميس ، نظرية الأصل والفرع في النحو العربي ، دار الشروق ، عمان – الأردن ، الطَّبعة الأولى 2001 م
32- الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنَّكة ، البلاغة العربيِّة – أسسها وعلومها وفنونها ، وصور من تطبيقاتها ، بهيكل جديد من طريف وتليد ، دار القلم دمشق ، دار الشَّاميّة بيروت ، الطبعة الأولى 1996 م .